هي فقط كل النساء

لم أعلم أن عينيك ابتلاء إلا حين أصابت قلبي بسهم الحب.. وأسكنتِ روحك روحي بالرحمة والعشق، فيا ليتها كانت أصابتني قبل أن يصيبني الحزن!

كنت قد رحلت عن كل شيء مرتبط بشيء اسمه الحب وأنا سميته الموت... رحلت عن كل شيء مرتبط بحواء خوفًا أن تصعق إحداهن روحي لأعود لقسوة هذا العالم.

كنت قد حبست مشاعري بعيدًا عن قلبي وعيني حتى لا تضعفني نحو شيء يعيدني مرة أخرى لأتعذب، وأُجرح وأتألم بدموعي الحبيسة، التي تسقط بداخلي.. تسقط على قلبي لترويه ليتنفس فقط.

كنت قد خبأت إحساسي بعيدًا عن عقلي ونبضي، حتى لا أتأثر ببشاعة الحياة التي أصبحت عذابًا، والحب فيه يتغذى على الطمع والحقد والمصلحة، فكيف أعود إليه وأنا ممزق منه لأنتهي بوجع أعظم.

لكن ذات يوم حدث ما كنت أخشاه رغم كل هذا.. وعلى غفلة من كل هذا الحصار المشيد حول قلبي، اقتحمتيني وحررتيني من حزني ومن نفسك نفختي في قلبي قبلة الحياة.

فأول مرة أعي أنه ليست كل النساء متشابهات، وأن فيهن من تمنحك الموت، وفيهن أيضًا من تمحنك الحياة.. وكنتِ أنتِ الحياة التي أعادتني مرة أخرى، مقتحمة كل حواسي لتملكي إحساسي ومشاعري، وتملكيني أنا.

ملأتيني بروحك، فملكتِ قلبي وسكنتِ عيني لتفرغي منها دموع الحزن، فلا مكان لأنثى غيرك تسكنني، وكل شيء حولي هو أنتِ فقط.. أنتِ حواء التي خلقت من ضلعي لتحيا وتحييني.

نعم أقر بحبك وأنك ابتلاء وهبني الحياة.. نعم! أنا الذي سميت الحب موتًا وابتلاءً.. لكن أنتِ كنتِ ابتلاءَ الرحمةِ على قلبي والسلام على روحي.

إذا كان قد قتلني الحب فيما مضى من إحداهنَّ بالغدر والخذلان، فالآن أحياني الحب أيضًا من أنثى غير كل النساء.

أنتِ لستِ فقط حبيبتي ومنقذتي ونعمة الله عليَّ

بل أنتِ نفسي ونبضي وحياتي ـ أنتِ أنا -